وثيقة عثمانية عن المدرسة الحميدية الوقفية في المدينة المنورة

د.سهيل صابان*

الملخص:

يتضمن المقال دراسة تحليلية لوثيقة عثمانية تخص المدرسة الحميدية الوقفية في المدينة المنورة، وهي محفوظة في الأرشيف العثماني بإستانبول، بتركيا، ضمن تصنيف الأوقاف، الذي يورد معلومات كثيرة عن الأوقاف؛ ليس في المدينة المنورة فحسب؛ بل في مكة المكرمة والقدس الشريف وغيرهما من المدن التي انتشرت فيها الأوقاف في أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية.

وتقع الوثيقة في صفحتين من القطع الكبير. وتبدأ بالحديث عن الأموال التي أرسلت إلى المدرسة الحميدية، وتنتهي بالحديث عن الأواني النحاسية المرسلة للمدرسة. وقد ضم بعض العبارات التوضيحية ضمن التعداد للمدرسة الحميدية في المدينة المنورة، كما وردت فيها أسماء بعض الكتب التي أرسلت لطلاب المدرسة، وقوائم بالأموال المرسلة للعاملين فيها، وكذلك قائمة بالأموال والكتب الشرعية واللغوية والنحاسيات المرسلة إلى المدرسة الحميدية الوقفية في المدينة المنورة في مختلف التواريخ (1203-1235هـ/1789-1820م). وتضم معلومات عن المدرسة من حيث البناء وعدد الغرف، وأسماء بعض العاملين فيها من مدرسين وغيرهم وكذلك الطلاب، ومخصصاتهم المالية، وكذلك الشمعدانات والسجادات والنحاسيات وغيرها من الأغراض التي أرسلت إلى المدرسة؛ بغية استفادة طلابها منها. وذلك من ريع أوقاف السلطان عبد الحميد الأول (1187-1203هـ/1774-1789م). سواء في إستانبول أو في غيرها.

* – أستاذ بقسم التاريخ ،كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

ومن الجوانب المهمة في هذه الوثيقة أنها أوردت قائمة بالكتب الهامة، لعلها من الكتب المنهجية المقررة على طلاب المدرسة، كما أن الوثيقة تثبت دقة التوثيق لدى العثمانيين؛ إذ سجلت في سجل الوقف المذكور، كما سجلت في إدارة أوقاف الحرمين الشريفين بإستانبول.

Abstract

An Ottoman Document on Hamidiye Madrasa of a Pious Foundation in Medina

The document, which exists in the Ottoman Archives in the section of Foundations that providesconsiderable information on not only in Medina foundations but also in Mecca,Jerusalem, and other cities, where foundations spread during the Ottoman period.

It consists of two large pages and starts with the lists of good sent to the Hamidiya Madrasa and ends with the number of copper pans again sent to the Madrasa. While giving these lists, the document also include some explanatory notes, such as the name of books sent to the students of the Madrasa, and staff directed tothe workers there, as well as information about sources of religion language and cooper to them in various dates, between 1203-1235 AH / 1789-1820 AD. The document also gives information about the building and room numbers of the Madrasa, and names of some workers, including teachers and students with their financial support. Moreover, it cites additional staff sent to the Madrasa like candlesticks, prayer carpets, and cooper materials in order to be used by the students. It represents one of the best foundations of Sultan Abdulhamid I (r. 1187-1203 AH / 1774-1789), whether in Istanbul or somewhere else.

The most significant aspect of this document is its providing a list of important books, which probably were methodological works assigned to the students of the Madrasa. It also shows the care and attention paid to documentationby the Ottomans, as it was recorded in this above cited Madrasa, and in the Administrative Office of the Foundations of Haramayn in Istanbul.

مقدمة:

الوثيقة محفوظة في الأرشيف العثماني بإستانبول، تصنيف EV.6737 وهو من التصنيفات المهمة والخاصة بالأوقاف في الأرشيف العثماني، الذي يورد معلومات كثيرة عن الأوقاف؛ ليس في المدينة المنورة فحسب؛ بل في مكة المكرمة والقدس الشريف وغيرهما من المدن التي انتشرت فيها الأوقاف في أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية.

1- وصف الوثيقة:

وتقع الوثيقة في صفحتين من القطع الكبير. وقد دونت بخط جيد. لكن تصعب قراءة بعض عباراتها إلا للمتخصص. تبدأ الوثيقة بالحديث عن الأموال التي أرسلت إلى المدرسة الحميدية، وتنتهي بالحديث عن الأواني النحاسية المرسلة للمدرسة. وقد ضم بعض العبارات التوضيحية ضمن التعداد للمدرسة الحميدية في المدينة المنورة، كما وردت فيها أسماء بعض الكتب التي أرسلت لطلاب المدرسة، وقوائم بالأموال المرسلة للعاملين فيها والطلاب.

تاريخ الوثيقة

اشتملت الوثيقة على مجموعة من التواريخ التي أرسلت فيها الأغراض إلى المدرسة الحميدية. وهي: 18 ذو الحجة 1203هـ، 20 رجب 1207هـ، 20 ربيع الثاني 1208هـ، 20 والحجة 1220هـ، 23 رجب 1231هـ، 2 ذو الحجة 1231هـ، 19 شعبان 1235هـ. وهذا دليل على أن الأغراض التي كانت ترسل إلى المدرسة الوقفية المذكورة في المدينة المنورة، كانت تدوّن في دفتر خاص بأوقاف المدرسة الحميدية بالمدينة المنورة في إستانبول.

محتوى الوثيقة

تتناول الوثيقة قائمة بالأموال والكتب والنحاسيات المرسلة إلى المدرسة الحميدية الوقفية في المدينة المنورة في مختلف التواريخ، كما سبق بيانها. وتضم معلومات عن

المدرسة من حيث البناء وعدد الغرف، وأسماء بعض العاملين فيها من مدرسين وغيرهم وكذلك الطلاب، ومخصصاتهم المالية، كما تضم عناوين الكتب الشرعية واللغوية المرسلة إلى المدرسة، وكذلك الشمعدانات والسجادات والنحاسيات وغيرها من الأغراض التي أرسلت إلى المدرسة؛ بغية استفادة طلابها منها. وذلك من ريع أوقاف السلطان عبد الحميد الأول سواء في إستانبول أو في غيرها.

2- صاحب الوقف

صاحب الوقف ومؤسسه هو السلطان عبد الحميد الأول (1137-1203هـ/1725-1789م) ابن السلطان أحمد الثالث، الذي حكم الدولة العثمانية من (1187-1203هـ/1774-1789م). وكانت له أوقاف عديدة، معظمها في إستانبول. ومنها هذه المدرسة ومكتبتها التي أنشأها في المدينة المنورة والتي أطلق عليها اسمه.

تلقى السلطان عبد الحميد الأول علومه ومعارفه على يد علماء كبار منذ صغره، وشبّ على العلم والمعرفة وحب الخير، والتفاني في خدمة القضايا الإسلامية. وكان يتوقد ذكاءً وثقافة. وعمل على الاستفادة من المعطيات الحضارية ولا سيما في إصلاح الجيش (بعدما اضطر إلى التوقيع على معاهدة كوجوك قاينارجه مع روسيا في بداية حكمه (عام 1774م)، والتي أفقدت الدولة العثمانية شبه جزيرة القرم، والقبول بحماية الروس للأرثوذكس الموجودين على الأراضي العثمانية)، وجَلَب المهندسين من فرنسا؛ لتأسيس دار الهندسة البحرية، وعمل على تطوير سلاح المدفعية..إلخ

كان له اهتمام كبير بمكة المكرمة والمدينة المنورة. فإضافة إلى المدرسة الحميدية الوقفية التي بناها في المدينة المنورة، بنى داراً للضيافة في مكة المكرمة، كما يوجد كثير من وثائق الأرشيف العثماني التي تتحدث عن أوقافه، ليس فقط في البلدتين المباركتين؛ بل حتى في المناطق الأخرى من الدولة العثمانية.

3- ترجمة الوثيقة

الأموال التي أرسلت إلى العاملين في المدرسة الحميدية الجديدة بالمدينة المنورة – نورها الله تعالى إلى يوم الآخرة – من أوقاف السلطان عبد الحميد [الأول] – طاب ثراه – من البساتين والمزارع في إستانبول وغيرها، سواء في بداية التعيين أو التجديد بموجب دفتر حسابات الحرمين الشريفين، الصادر بأمر السلطان وفرمانه بعد عرض الناظر إدريس آغا: 18 ذو الحجة 1203[هـ]

[المبلغ المرسل لـ] المدرس في المدرسة المذكورة مصطفى أفندي ابن براوشته لي إمام زاده محمد أفندي 120 من زر محبوب. والمبلغ بحساب القرش 420 قرشاً. وقد تم تعيين براوشته لي محمد أفندي؛ بناءً على الوظيفة الشاغرة بعد رفع إبراهيم باشا وإنهاء قائممقام بولولو وعرض الحافظ عيسى آغا، [حيث صدرت براءة التعيين] في 19 شعبان 1235[هـ]. وذلك بشرط قيام المذكور بتدريس الطلاب في المدرسة المذكورة العلوم النافعة، وعلى أن يباشر بنفسه أداء العمل.

عدد الطلاب في المدرسة المذكورة: 17 طالباً. يصرف لكل واحد منهم مبلغ خمسة عشر عدداً من زر محبوب. المجموع 255 ذهباً. والمبلغ بحساب القرش 892 قرشاً. علماً أن الطلاب الساكنين في داخل المدرسة، ليسوا من أبناء البلد من أهالي المدينة المنورة؛ بل هم من القادمين من الأناضول والروملي، أي أنهم من علماء [هكذا] البلاد الأخرى، حسب شرط [الواقف].

غرفة سبحانه [؟]: 1

المخصص للمقيم في غرفة البواب، لخدمة المدرسة والفراشة: عشرون ذهباً من زر محبوب. والمبلغ بحساب القرش 70 قرشاً.

المخصص للساقي في المدرسة المذكورة: 12 ذهباً والمبلغ بحساب القرش 42 قرشاً.

المخصص للساكن في غرفة من الغرف السبع عشرة لأجل آبكش [جالب الماء][i]: 10 أعداد ذهباً من زر محبوب. والمبلغ بحساب القرش 35 قرشاً.

المخصص لإشعال القناديل في المدرسة المذكورة: 6 أعداد من زر محبوب. والمبلغ بحساب القرش 21 قرشاً.

المخصص لرمي الزبالة في المدرسة المذكورة 3 أعداد من زر محبوب. والمبلغ بحساب 10 قرشاً ونصف.

المخصص لترميم الأسرَّة في المدرسة المذكورة 10 أعداد من زر محبوب. والمبلغ بالرومي 35.

المجموع 436 عدداً من زر محبوب. ومجموع المبلغ بحساب القرش 1526 قرشاً.

المخصص في السنة لعبد الكريم أفندي وآدم أفندي، ابنا أبي الفتح أفندي من الصرة الشريفة 100 قرش. وقد خصص لهما المبلغ المذكور بناءً على وقوع محلول [أي شاغر] بوفاة والدهما أبي الفتح أفندي، بموجب إعلام قاضي المدينة المنورة داغستاني زاده السيد أبي بكر أفندي، وشيخ الحرم المتولي الحاج محمد عنبر آغا، وعرض قائممقام وبلال آغا الناظر وذلك في 20 ذي الحجة 1220[هـ].

المخصص من الصرة الشريفة السنوية لحسن خليفة بأمر السلطان وفرمانه 720 قرشاً. وقد خصص له المبلغ المذكور عن محلول [أي الراتب الشاغر] من ولي خليفة، من آغاوات الخيالة في المدينة المنورة، بموجب عرض بلال آغا الناظر. وذلك في 23 رجب 1231[هـ].

قائمة الكتب التي وضعت في صناديق، ثم أرسلت إلى المكتبة التي بناها وشيدها المغفور له [بإذن الله] والمشار إليه [أي السلطان عبد الحميد الأول] في المدينة المنورة:

شرح البخاري للقسطلاني	مجلدان اثنان.
شرح الجامع الصغير للمناوي	أربعة مجلدات.

شرح الشفاء الشريف لعلي القاري	مجلد واحد.
البخاري الشريف	ستة عشر جزءاً.
مصابيح الشريف	مجلد واحد.
كليات أبي البقاء	مجلد واحد.
شرح المناسك لعلي القاري	مجلد واحد.
شرح الملتقى لقصاب زاده	مجلد واحد.
شرح الطريقة المحمدية لمفتي خادم	مجلد واحد.
تنبيه الأنام في الصلاة على خير الأنام	مجلد واحد.
مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات	مجلد واحد.
المجموع	30 مجلداً

إن الكتب النفيسة المذكورة البالغة ثلاثين مجلداً والتي توضع في المكتبة الموجودة في المدرسة الحميدية المذكورة التي سميت باسم المرحوم والمغفور له [بإذنه تعالى] المشار إليه، قد وضعت في الصندوق بمعرفة السلاحدار [المسؤول عن سلاح السلطان] السيد عبد الله آغا، وأرسلت بمعرفة رئيس السقاة الأول أحمد آغا [إلى المدينة المنورة]. وقد دونت في السجل الخاص بها في وقف المشار إليه [السلطان عبد الحميد الأول في إستانبول]. وبناءً على طلب الوقف المذكور بإصدار ورقة علم وخبر [أي الإفادة بالاستلام] بوصولها ووضعها في مكانها، فإنها إذا وصلت إلى هناك بإذنه تعالى، فالمرجو وضعها في مكانها حسب ما هو مكتوب، وذلك بموجب شروط الواقف في عهد الناظر السابق خالد آغا في 20 رجب 1207هـ. وتم تسجيل ذلك في إدارة الحسابات بأوقاف الحرمين. وتبين من القيود أن ورقة علم وخبر الخاص بالوقف قد صدر.

وبعد وصول الكتب الشريفة المذكورة إلى المدينة المنورة، يتم تسجيلها في السجل الخاص بها وقيدها، ووضعها في المكتبة اللطيفة الموجودة في داخل المدرسة المذكورة،

وذلك بحضور قاضي المدينة المنورة محمد عيسى أفندي، وشيخ الحرم النبوي عنبر آغا، وقد صدر منهما إعلام بتسليم الكتب إلى مدرسي المكتبة. كما هو مقيد بأمر ناظر الوقف المذكور بتاريخ 20 ربيع الثاني 1208هـ.

قائمة بالأغراض التي تتكون من النحاسيات والشمعدانات والسجادات المرسلة إلى المدرسة التي بناها وشيدها في المدينة المنورة – نورها الله تعالى إلى يوم الآخرة – الوالد الماجد كثير المحامد السلطان عبد الحميد خان – طاب ثراه وأسكنه الله تعالى فردوس الجنان –، وذلك بعد شرائها من وقف المشار إليه في إستانبول بأمر سني من جناب السلطان، بمعرفة السيد عبد الرحمن قائممقام الوقف الشريف وناظر دار الضرب في إستانبول، في 2 ذي الحجة 1231هـ:

طاسة من النوع الصغير. العدد المشترى منه هذه المرة 18 عدداً. 70 درهماً، 14 أوقية، بـ 305 باره [هلله] 108 قرشاً.

تبسية من النوع الصغير. العدد المشترى منها هذه المرة 18 عدداً. 100 درهم، 41 أوقية بـ 305 باره، 314 قرش وثلث القرش.

صينية من النوع الصغير. العدد المشترى منها هذه المرة 18 عدداً. 100 درهم، 53 أوقية بـ 305 باره، 406 قرش و2 باره.

قدر مع غطاء. العدد المشترى منه هذه المرة 18 عدداً. قيد 34، بـ 305 باره، 259 قرشاً و 10 باره.

صحن من النوع الصغير. العدد الموجود منه بالمدرسة الجليلة 3 أعداد. وما تم شراؤه هذه المرة 15 عدداً [مجموعهما] 18 عدداً. بـ 50 درهماً، 161 قرشاً 21 باره. في 305 باره.

قدر من النوع الكبير. العدد الموجود منه بالمدرسة الجليلة 6 أعداد. وما تم شراؤه هذه المرة 12 عدداً [مجموعهما] 18 عدداً. بـ 20 درهماً، 91 قرشاً 16 باره. في 305 باره.

موقد إفرنجي. العدد الموجود منه بالمدرسة الجليلة 3 أعداد. وما تم شراؤه هذه المرة 15 عدداً [مجموعهما] 18 عدداً. ب50 درهماً، 46 قرشاً:355 قرشاً ونصف. في 305 اره.

إبريق الوضوء. العدد الموجود منه بالمدرسة الجليلة 3 أعداد. وما تم شراؤه هذه المرة 15 عدداً [مجموعهما] 18 عدداً. بـ [الواحد بـ] 12 قرشاً، [المجموع] 180 قرشاً.

شمعدان من المعدن 18 عدداً. الواحد بـ 5 قرش [المجموع بـ] 90 قرشاً.

السجادة. عدد 2. 106 أذرعة. كل ذراع بـ 8 قرش. [المجموع بـ] 901 قرش.

وعاء غسل الملابس. العدد الموجود منه في المدرسة الجليلة 17. المشترى منه هذه المرة عدد واحد.

[ملزمة] الموقد. العدد الموجود منه في المدرسة الجليلة 17. المشترى منه هذه المرة عدد واحد.

قزغان [قدر كبير]. العدد الموجود منه في المدرسة الجليلة 17. المشترى منه هذه المرة عدد واحد.

العدد الإجمالي [للأغراض الثلاثة الأخيرة] 3. بـ 50 درهماً، 22 أوقية في 305 باره. 168 قرشاً و 8 باره.

مجموع قيمة النحاسيات والشمعدانات والسجادات :

باره	قرش
2	3036 قرش
10	50ر33 قرش ثمن تصنيع الموقد إفرنجي
4	50ر75 قرش ثمن تصنيع [؟]
15	50ر22 قرش أجرة [؟]
00	150 قرش مصروفات متفرقة عن الصندوق واللحاف..إلخ
11	3318 قرش [المجموع]

لقد تم فيما سبق بيان بالأواني النحاسية التي تم شراؤها للمدرسة التي وفق جناب المشار إليه [السلطان] في إحيائها بالمدينة المنورة – نورها الله تعالى إلى يوم الآخرة – من خيراته الجليلة، وإكمال نواقصها، بناءً على ما ضاع منها أو تلف، مبيناً فيها جنسها ومقدار ما تم شراؤها. ونظراً لطلب الحاجة لشراء سجادتين للمدرسة وإرسالهما فيما سبق، فقد تم شراؤهما أيضاً بموجب شروط الواقف المشار إليه؛ حيث دفع ثمنهما من وقف الحميدية الشريفة، كما تم شراء الأواني النحاسية المطلوبة، وتم تسليم كل تلك الأغراض السابقة إلى مدير أعمال شيخ الحرم النبوي [في إستانبول] عثمان آغا، مقابل سند قبض، وسلمت الأغراض إليه كاملة، على أن يرسلها إلى تلك البقعة المقدسة، كما تم تسجيل القائدة المذكورة في إدارة حسابات الحرمين الشريفين، مع التنبيه بوضع النحاسيات المذكورة والسجادتين في محل مناسب؛ حفاظاً عليها وصيانة لها من التلف، وصدر بذلك إعلام شرعي من إستانبول، موجهاً لشيخ الحرم النبوي الشريف عطوفة قاسم آغا، وقاضي المدينة المنورة صاحب الفضيلة، بوصول تلك الأغراض سليمة إليها، وإعداد تقرير بذلك، كما صدر بذلك الفرمان السلطاني، وقائمة بمحتوى الأغراض مع تسجيل التاريخ والمحتوى.

ما يستفاد من الوثيقة

1 – وجود مشاريع استثمارية وقفية في إستانبول وغيرها من الأماكن، يصرف ريعها على الأوقاف التي بناها السلطان عبد الحميد الأول. غير أن الوثيقة لا تشير إلى تلك المشاريع، سوى أنها تتكون من المزارع والبساتين، وأنها مقيدة في دفتر حسابات الحرمين الشريفين.

2 – تعيين محمد أفندي براوشته لي، مدرساً في المدرسة الحميدية بموجب براءة التعيين الصادر بفرمان سلطاني في 19 شعبان 1235هـ، على أن يقوم بنفسه بمباشرة

عملية التدريس للطلاب في المدرسة. وقد حدد المبلغ المرسل إليه بأنه 120 زراً محبوباً، المساوي لـ 420 قروشاً.

3 – أن عدد الطلاب في المدرسة كان سبعة عشر طالباً. وكان لكل واحد منهم منحة دراسية سنوية بمبلغ 15 زر محبوب. وفيها إشارة مهمة إلى أن الطلاب ليسوا من أهل المدينة المنورة؛ وإنما من القادمين من الأناضول والروملي، وهي الأراضي العثمانية الواقعة في أوربا. وذلك بحسب شروط الواقف.

4 – كان يعمل في المدرسة بعض العمال. وهم: البواب، والفراش والساقي ومشعل القناديل، ورامي الزبالة، ومرمم الأسرّة. ولكل واحد منهم راتب سنوي متفاوت ما بين 3 و20 ذهباً من زر محبوب.

5 – بلغت رواتب العاملين والطلاب في المدرسة . وتوزع على النحو الآتي:

راتب المدرس:	120	ذهباً
رواتب الطلاب الـ17	255	ذهباً
راتب الفراش	20	ذهباً
راتب الساقي	12	ذهباً
راتب جالب المياه		ذهباً
راتب مشعل القناديل	6	ذهباً
راتب رامي الزبالة	3	ذهباً
راتب مرمم الأسرّة	10	ذهباً
المجموع	436	عدداً من زر محبوب

6 – كان يتم تخصيص الرواتب الشاغرة في المدرسة إذا وقع فيها شاغر، بموجب إعلام شرعي من قاضي المدينة المنورة وشيخ الحرم النبوي الشريف وناظر المدرسة.

ويلاحظ أن مثل هذه الرواتب ذكرت بالقرش، بينما كانت رواتب العاملين في المدرسة والطلاب بالذهب الأصفر.

7 – أن عدد غرف وفصول المدرسة بلغت سبع عشرة غرفة.

8 – إرسال ثلاثين مجلداً من الكتب إلى المدرسة. وهي كتب شرعية ولغوية. ويلاحظ أن الكتب الشرعية كانت في العقيدة والحديث النبوي الشريف وفي الفقه الحنفي والشافعي. كما أن الكتب اللغوية كانت محصورة في كليات أبي البقاع (وهي معجم للمصطلحات والفروق اللغوية). والقيد الموجود بضرورة وضع الكتب في مكانها في المدرسة، يشير إلى وجود مكتبة فيها، كانت لطيفة، وكانت بها كتب نفيسة.

10 – أرسلت مجموعة من الأواني المنزلية؛ لاستخدام الطلاب. وتلك الأواني أضيفت على الأواني السابقة في المدرسة، وكانت قليلة بالعدد المرسلة في المرة الأخيرة. والعدد المرسل من الأواني يدل على أن لكل واحد من الطلاب كانت أواني خاصة به.

11 – أرسلت 18 شمعداناناً بعدد الطلاب والمدرس، كما أرسلت المواقد والقدور..إلخ

12 – أرسلت سجادتان مجموع مقاساتهما بلغ 106 أذرعة.

13 – كان في يوجد في إستانبول مدير أعمال لشيخ الحرم النبوي الشريف، وهو منسق بينه وبين نظارة الأوقاف؛ لمتابعة أعمال الحرم النبوي الشريف في إستانبول.

– وقد اشتملت الوثيقة على تكرار لعبارة صح أربع مرات، تدل على أن المراقب المالي قد دقق في المخصصات المذكورة. وذلك في نهاية هذه الورقة. ويدل في الوقت ذاته على الدقة المتناهية في الحسابات والتأكيد على إرسال الأموال والأغراض المذكورة في الوثيقة.

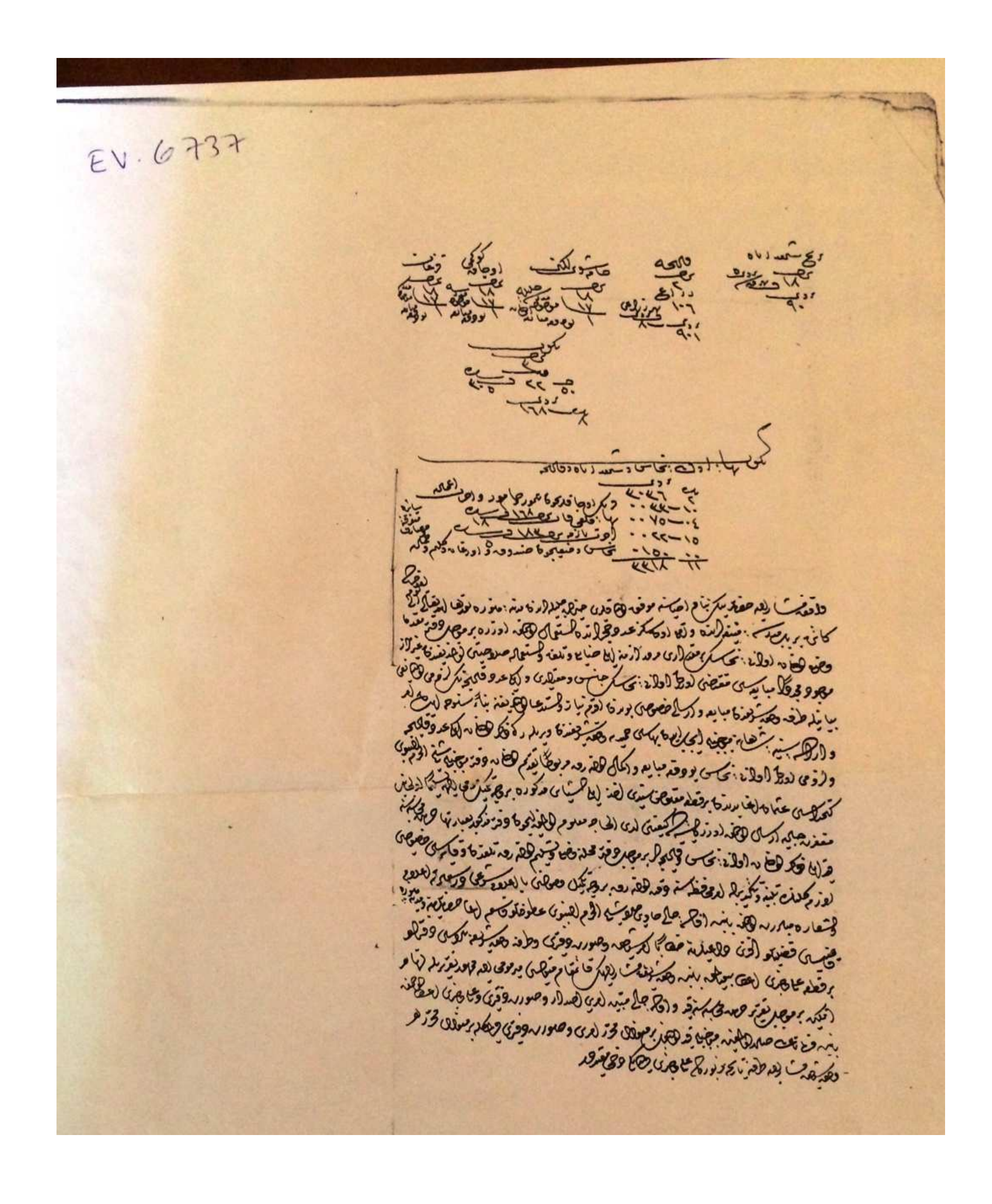
الهوامش:

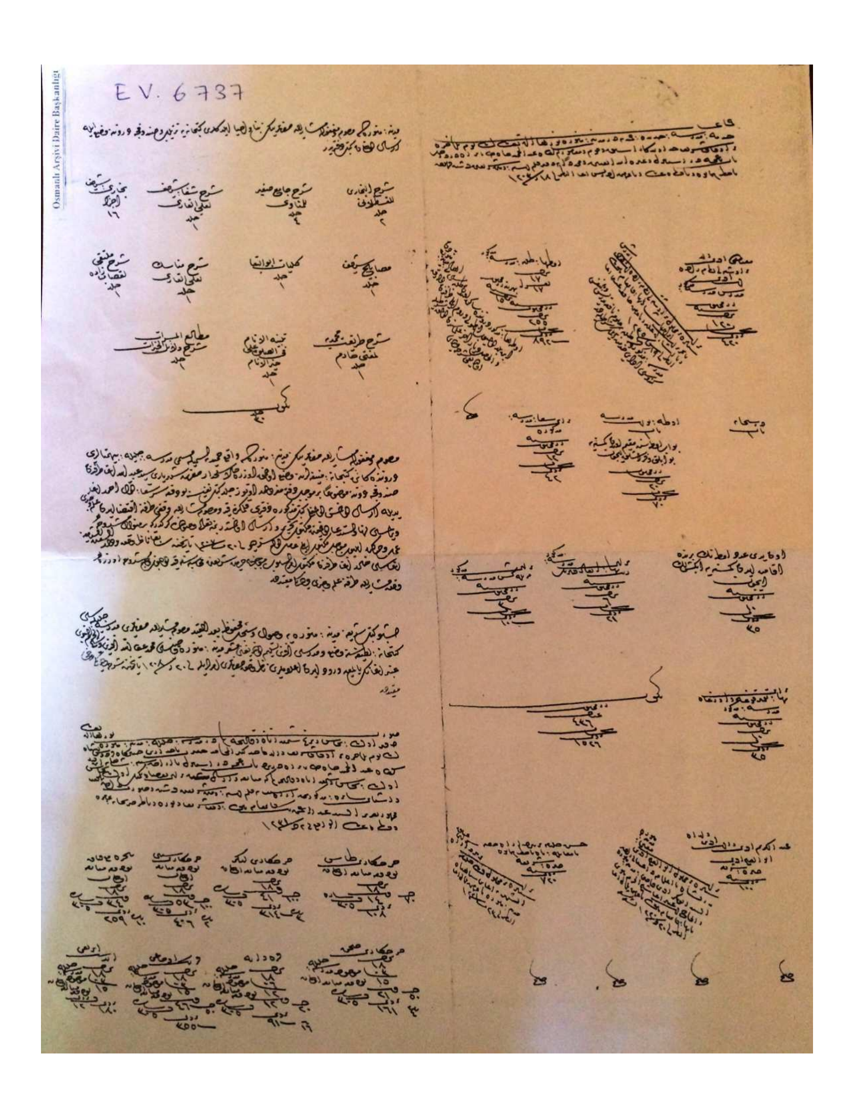
1- Islam Ansiklopedisi/Turkiye Diyanet Vakfi: 1/213-216

1- ذر محبوب: الذهب المحبوب. وهو سك من الذهب، يساوي خمسة وعشرين قرشاً قديماً.

3- آبكش: الاسم الذي أطلق على جباة الماء في التكايا والمبرات الخيرية. وهي كلمة فارسية مركبة، من آب أي الماء، وكش بمعنى الجابي أو الجالب. وكان يوجد شخص مخصوص لهذه الوظيفة في المبرات الوقفية الكبيرة، كما كان يوجد داخلها بئر، فيقوم هذا الموظف بجلب الماء من البئر.

Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlugu/Mehmet Zeki Pakalin.- Istanbul: MEB.1993: 1/6


EV. 6737



Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı

EV. 6737